تدريس العربية كلغة حية في الولايات المتحدة الأمريكية

الدكتور سامي عياد - الدكتور نجيب جرجس
الولايات المتحدة

بالرغم من ان دخول اللغة العربية في برامج عدد كبير من الجامعات الامريكية ظاهرة حديثة ، فان الاهتمام بها نما نموا مطردا خلال السنوات العشر الاخيرة . وهناك من الادلة ما يفيد بان الدراسات العربية اصبحت ميدانا علميا هاما وان عدد الجامعات الامريكية التي تقدم في برامجها اللغة العربية وحضارتها العريقة قد بلغ اكثر من ثلاثين جامعة .

ولكن هذا الاهتمام وهذا التوسع اثار مشاكل تربوية واصبح السؤال الذي يردده كل استاذ هو كيف ندرس اللغة العربية ومن اين نبدأ .

فهناك الفصحى والعامية . اما العامية فنحن نعلم ان هناك لهجات عربية عديدة فمنها اللهجة اللبنانية والمصرية والتونسية والمغربية وهكذا .. وتزداد الصورة تعقيدا بان كلا من هذه اللهجات لها لهجات محلية . ففي مصر نرى اللهجة القاهرية واللهجة الصعيدية . ثم تزداد المشكلة تعقيدا بان الكتابة العربية نفسها — بدون شكل — تسمح بنطق كلمة واحدة في عدة أوضاع بمعانيها المختلفة . فمثلا (ك ت ب) يمكن نطقها باشكال مختلفة .

اقدم عدد من اساتذة علم اللغويات والتربية الحديثة على عدد من الحلول . فمنهم من يعتقد ان الطالب الامريكي يجب ان يتعلم الفصحى فقط قراءة وكتابة . ومنهم من يدعي ان العامية هي التي يجب ان ندرسها لان الهدف من تعليم اللغة هو الاتصال والتفاهم مع الناس في احداث كل يوم العادية . وهناك من يومن بتعليم الفصحى اولا ثم بعد ذلك العامية عن طريق احدى لهجاتها .

وهذه الحلول المختلفة تبدو غير مرضية بتاتا في نظر آخرين يومنون بانه اذا كان الهدف من تعليم العامية هو تمكن الطالب من محادثة الرجل العادي العربي فهو يضيع وقته سدى لان بتعليمه العامية سيحدد له لهجة معينة كما انه وان لم يستعملها في مكانها فهو لن يستفيد منها . فمثلا اذا تعلم لهجة مراكش فقط وذهب بعد ذلك الى بنغازي فلن يمكنه التفاهم الكامل معها . اما اذا تعلم الطالب الاجنبي اللغة العربية المكتوبة او بالاحرى الفصحى بدون التعرض الى اللهجات فهذا يعده البعض اسلوبا غير واقعي في تعليم لغة حية كما انه لا يتفق ونظريات علم اللغويات الذي يدور حول محور هام وهو ان الكلام ياتي اولا وان الكتابة انما هي رمز لما ينطق به المتكلم. وعلى هذا يبدو ان الحل المثالي للمشكلة في نظر هؤلاء العلماء لابد ان **يكون عمليا** ويتفق مع **الواقع اللغوي العربي** وفي نفس الوقت مع **نظريات علم اللغويات الحديثة** . معنى هذا انه اذا واقتنا على ان نبدأ تدريس العربية للاجانب بلغة الحديث فلابد من البدء باللغة العامية . ولكن اية لهجة نختار ؟ والاجابة على هذا السؤال تتوقف الى حد كبير على الهدف من تعلم اللغة نفسها .

لناخذ تعلم الانجليزية كمثل لنا . فالانجليزية الامريكية مثلا التي يتعلمها الاجنبي هي لغة الشمال وليس الجنوب . وفى انجلترا ايضا يتعلم الاجنبي اللغة المعروفة Received English وقد يكون لاختيار هاتين اللغتين عدة اسباب . اولا : انها لغة مهذبة للحديث . وثانيا ان لها اهمية خاصة فى التطبيق والاستعمال العام . بمعنى آخر ان اللغة التي تدرس هي التي تمكن الطالب من تحقيق الاتصال والتفاهم الكامل مع اصحاب هذه اللغة بحيث يفهمهم وهم يفهمونه .

لنعد الآن الى العربية التي هي لغة ما يقرب من تسعين مليون عربي كما انها **لغة القرآن الكريم التي يعرفها ما يقرب من سبعمائة مليون مسلم فى العالم** . ونحن نعلم ايضا انه منذ ظهور القومية العربية فقد **ظهر فى الافق العربي يقظة ورغبة قوية فى تحقيق الوحدة الثقافية واللغوية** . شكرا للتبادل الثقافي ووسائل الاعلام المختلفة فى البلدان العربية . اما **الفروق اللهجوية فلم تعترض قط طريق الوحدة الثقافية** . وظهر خلال هذه العملية نوع جديد من لغة الحوار وهو ما يمكن ان نسميه **باللغة المهذبة** او لغة المتكلمين خصوصا تلك اللغة التي تتميز بها مراكز الثقافة الكبرى التي يفهما الجميع حتى الذين لا يتكلمونها . وهذا هو بالضبط السبب الاهم فى ان الطالب الاجنبي الذي يرغب فى تعلم اللغة العربية يجب ان يتجه الى احد هذه المراكز الكبرى حيث يمكنه ان يجد وسيلة للتفاهم تساعده ليس فقط على فهم جزء من العالم العربي بل جزء مهم من الحضارة العربية .

ولا شك ان هنالك مراكز هامة للثقافة العربية مثل القاهرة وبغداد ودمشق وبيروت وفاس . وكلنا نعلم ان القاهرة بالذات تتمتع بكثير من الامتيازات كما ان لهجتها « المهذبة » او لهجة المتعلمين فيها تعتبر مهمة جدا بالنسبة للطالب الامريكي الذي يبحث عن وسيلة تمكنه من التفاهم مع اكبر عدد من العرب فى بلادهم المختلفة . ولكن ليس معنى هذا ان اللهجة المهذبة القاهرية هي الوسيلة الوحيدة لهذا التفاهم بل اللهجة المهذبة الرباطية والبيروتية والبغدادية يمكنها ان تقوم بنفس العملية وتحقق نفس الاهداف .

واللهجة التي يفترضها اصحاب هذه الطريقة الحديثة هي التي يتحدث بها الشباب العربي المتعلم الذي حصل على قسط وافر من التعليم الجامعي . وهي ايضا التي يذاع بواسطتها بعض البرامج الاذاعية العربية فى كثير من المدن العربية الكبرى . والسبب فى اختيار هذه اللهجة هي انها مفهومة تماما فى جميع البلاد العربية . وشكرا لوسائل الاعلام الحديثة من تلفزة وراديو وافلام سينمائية التي قربت هذه اللهجة الى عدد كبير من الشعوب العربية . فهي لغة مقبولة للجميع وتتمتع بشهرتها المعروفة واحترامها .

فالذي يقترحه اصحاب هذه النظرية فى اول خطوة لتعليم العربية هو البدء باللهجة المهذبة .

وهنا يجب تحديد العلاقة بين ما نسميه « بالعامية » « والفصحى » . فاية لغة من لغات العالم لا تتكون من عنصرين فقط يمكن تحديدهما تحديدا واضحا . بل بالاحرى تتكون من « مستويات كثيرة » وكل مستوى يرتبط بمستوى ثقافي معين ووظيفة معينة . ولكي يكون استخدام العربية فعالا يجب على الدارس والمدرس ان يكونا متيقظين لهذه المستويات وان العربية نمت وزادت بلاغتها على مر الايام والاجيال . وعلى ذلك يمكن ان نميز على الاقل ثلاثة مستويات عامة :

اولا : **العربية الفصحى او لغة القرآن الكريم** .

ثانيا : **العربية الحديثة وهي تشمل ما تقراه فى الصحف اليومية والمجلات والاذاعة** . وفى نطاق هذا المستوى لابد من تاكيد الكتابة الرسميةرغم ان هناك الآن كتابة لبعض العامية : الاغاني مثلا ، والامثال العامية ، والقصص الخرافية .

ثالثا : العربية الخاصة بالحوار او التحدث اليومي وهي تمثل **اللهجة المهذبة** التي تحدثت عنها . وهنا يجب ملاحظة ان العامة العرب غير المتعلمين يستخدمون الكثير من النماذج بالعربية الفصحى (عند ذكر بعض آيات القرآن الكريم او الحديث الشريف او اصطلاحات معينة مثل « حالا » و « بسرعة » . و « اهلا وسهلا » . الخ) .

ولسنا فى حاجة الى تاكيد الحقيقة وهي ان **هذا التقسيم لا يعني مطلقا ان كل قسم منفصل تماما عن الآخر** . فهذا ليس من شأن اللغات الحية . ومن هنا يؤكد لنا اصحاب هذا الراي — وهو رايي انا ايضا ان « **اللهجة المهذبة** » **تستخدم كقنطرة تسهل الانتقال من لغة الحديث الى اللغة الفصحى** فمثلا حرف «القاف» يتردد كثيرا فى لغة الحديث خصوصا عند ذكر كلمة « القرآن » و « القاهرة » فهذه اللهجة المهذبة تحتوي

على كلمات كثيرة من الفصحى وتتبع ايضا عن قرب قواعد الفصحى .

كما ان اللغة العربية المعاصرة او الحديثة يمكن بسهولة تمييزها عن الفصحى عن طريق الكلمات الجديدة التي تحتويها . فنحن نقول الآن « تلفزيون » او « تلفزة » و « فيلا » .

وبالنسبة للعامية يمكن تمييزها عن الفصحى بما يحدث من تغيير فى بعض الاصوات فمثلا تقول « كتب » بدلا من « كتب » و « ولد » بدلا من « ولد ـــ ولدا ـــ ولد » .

وايضا الولد او الولد بدلا من الولد ـــ الولد ـــ الولد ، يفتح بدلا من يفتح (باللهجة المهذبة القاهرية مثلا) .

وايضا تغيير صوتي فى بعض الحروف مثل (ت) بدلا من (ث) فنقول مرة « تانية » ، وعشرين تانية ، (داب) بدلا من (ذاب) و (ازا) بدلا من (اذا) .

ثم ايضا نلاحظ التفخيم : / فرد / و / فرض /

والاساس الهام الذي يبنى عليه تعليم اية لغة اجنبية هو التقدم من لغة الحديث الى الكتابة او من الصوت الى الرمز . ولهذا السبب تستخدم الرموز الصوتية فقط فى المرحلة الاولى حتى يمكن للطالب ان يتلقن كل الاصوات ويميز بينها بدقة . ولكي يتم تحقيق ذلك نقدم نماذج « زوجية » خاصة Minimal Pairs مثل : (دم) ، (ضم) لتوضيح التفخيم .

(كلب) / (قلب) لتوضيح اهمية نطق احرف معينة فى معنى الكلمة .

(س) / (ساد) لتوضيح اهمية الاصوات الطويلة .

وفى هذه النماذج يكون التركيز على ابراز اختلاف واحد فقط لان الاستماع يأتي قبل النطق وان القدرة على تمييز الاختلاف فى الاصوات يأتي قبل اعادة انتاجها. وبمجرد أن يتمكن الطالب الاجنبى من ترديد النماذج الصوتية الاساسية يمكنه بسهولة ان ينتقل الى الكتابة ومنها الى الفصحى .

كيف نقدم الفصحى بعد ذلك ؟

لعلنا نذكر كثيرين منا عندما بدأوا يتعلمون العربية الفصحى فى اول سنة ابتدائية رددوا كلمات وامثالا مشهورة مثل (قتل) ، (ضرب) ، اما فى اللاتينية مثلا فتعلمنا « حب » وما شابهها . وليست المشكلة فى الواقع مشكلة معان ولكن المشكلة هي انه لم يكن هناك اهتمام بفكرة «التدرج» فى تقديم «الاصوات» وتركيب الجملة او مميزات تراكيبية خاصة Morphological distinction وانتقلت هذه الطريقة الى الغرب فى تعليم العربية واصبح الاهتمام منصبا على المفردات والقواعد الصماء .

وفى السنين الاخيرة لاحظنا ان بعض اساتذة العربية فى الجامعات الامريكية التي تقوم بتدريس العربية قد الفوا كتبا خاصة لتعليم العربية للمبتدئين ووصلوا فى تفكيرهم الى اهمال كل المستويات اللغوية والتركيز على ما اطلقوا عليه اسم « **العربية الحديثة** » Modern Standard Arabic **وبهذا الاسلوب يبدو انهم قد فشلوا فى تقديم العربية كلغة حية لها مستوياتها** الثقافية والنشاطية المختلفة . فالرمز المكتوب هو التعبير الوحيد للعربية وينتج من هذا انه من المستحيل للطالب ان يفهم الكثير مما يسمى « العربية الحديثة » عندما يستمع الى حديث او اغنية عربية بالاذاعة او خطبة عامة او ادب شعبي . اضف الى ذلك انه اذا استخدم الفصحى الحديثة فى حواره فانه يكون يتكلم ككتاب لا يعبر عن واقع لغة الحوار .

وعلى ضوء هذه الانتقادات تقدم الفصحى فى المرحلة الاولى من تعليم العربية فى نطاق الاساليب الآتية :

اولا : **ان المحتويات التركيبية يجب ان تقدم بالتدريج على اساس البساطة فى التركيب ، التكرار ، والقيمة العلمية** . وبناء على ذلك فمن الناحية الصوتية تقدم الاصوات السهلة والتي تماثل لغة الطالب الاجنبي اولا (فحروف القاف والعين والحاء والخاء والغين تؤجل الى فترة متقبلة) ومن الناحية الاعرابية والصرفية فالجمل الاسمية تقدم قبل الجمل الفعلية : مثل انا من ليبيا ، الرباط مدينة جميلة .

ومن الناحية التركيبية تقدم بعض الضمائر الهامة فقط مثل : انت ، انتِ ، انتم .

ثانيا : **يجب على النماذج التركيبية ان تمثل الثقافة والحضارة** العربية وان تبرز الهام منها . كالحج وشهر رمضان المبارك والعائلة العربية وخلافه بدلا من « اين الفيل يا خليل » او « عقد مجلس الوزراء جلسة خطيرة » .

ثالثا : في تطبيق مبدا التدرج وربط النماذج بالحضارة يتحقق غرضان مهمان : الاول هو ان الطالب في هذه المرحلة الاولى الحرجة يبدا بالشعور بالنجاح بدون الالتجاء الى « ضغط من الذاكرة » وثانيا ان رغبته في المزيد من التعليم تزداد ومعها تزداد شهيته لمعرفة الثقافة الجديدة التي تمثلها اللغة . او بمعنى آخر **ان النماذج اللغوية يصبح لها معنى في ذهن المتعلم مما يجعل عملية التعلم ممتعة وفعالة** . وكلنا نعلم ان **اول اتصال في تعلم لغة اجنبية له اهمية قصوى في مواصلة تعلم تلك اللغة** .

نعم فهناك في بعض الاحيان فرق واضح بين كلمة عامية ومقابلها بالفصحى — مثل (بالزاف) و (كثير) ولكن هنا تبدو ابداعية استاذ اللغة في اختيار النماذج المشتركة بين اللهجة المهذبة والفصحى — كالامثلة التي سبق الاشارة اليها . هذا هو **القاسم المشترك** الذي عليه يبني المعلم المرحلة الاولى من تعليم اللغة العربية للاجانب .

اما من حيث **القواعد** فكلما ذكرت ان النماذج التي تقدم يشتق منها الطالب القاعدة بدلا من تقديم القاعدة في قالب اجوف لحفظها فقط .

وهنا تلعب التمارين الخاصة بكل درس دورها الهام في عملية التعلم فبدلا من سؤال الطالب اعرب ما ياتي : او استخرج اسم المفعول من كل فاعل — نقدم تمارين من نوع جديد متفق عليه ونظريات اصول التعلم وعلم اللغويات . فتمارين الاستبدال Substitution مثلا والتحويل Transformation وغيرها من التمارين الفعالة التي «تثبت» ما يتعلمه الطالب . فمثلا : هو من القاهرة

هي

انا

انت

بيروت

هذا مسجد

هذه مدينة

هذا مسجد جميل

هذه مدينة جميلة

اما المفردات فيجب الا تبعثر في الدروس بلا نظام او احكام . فالكلمات التي تتركب منها النماذج التركيبية يجب ان يكون اختيارها في غاية الدقة والتحديد مع تكرارها في الدروس المتتالية حتى يتمكن الطالب من التركيز على النماذج الاساسية التركيبية بدلا من مجرد ضغط كلمات لا معنى لها .

هذا ملخص مختصر لاحدث طرق تدريس اللغات الاجنبية ومن ضمنها العربية بمستوياتها الثقافية المختلفة .